تاريخ استقبال المقال:2018/02/05، تاريخ قبول نشر المقال:2018/07/19، تاريخ نشر المقال: 2018/12/01

دراسة نمط العلاقات بين الجزائر والدول المجاورة لها

Study of the pattern of relations between Algeria and its neighbouring states

د. عاشور فضيلة *

ملخص:

الدراسة عبارة عن قراءة تاريخية، للعلاقات الخارجية الجزائرية الافريقية، خاصة بعد ملاحظة الدور الكبير الذي تقوم به الجزائر في حل النزاعات والأزمات المختلفة التي تتعرض لها جاراتها، الأمر الذي أكسبها مكانة مهمة بالنسبة لدول شمال افريقيا ودول الساحل، وأن تنوع هذه العلاقات بين العلاقات السياسية، الاقتصادية، الثقافية، والاجتماعية، يؤكد أن العلاقات الجزائرية الافريقية ليست وليدة الحاضر بل أنها تضرب بجذورها في عمق التاريخ، فتسوق الفكر للبحث في نمط العلاقات الخارجية بين الجزائر والدول المجاورة لها.

الكلمات المفتاحية: الجزائر، دول شمال افريقيا، دول الساحل.

Abstract:

The study is a historical reading of Algerian-African external relations, especially after noting the great role played by Algeria in resolving conflicts and the various crises to which their neighbouring are exposed, which has earned them an important place for North African and Sahel states, and that the diversity of these Relations between political, economic, cultural and social relations, which confirms that the Algerian-African relations are not the product present indeed, they are rooted in the depth of history, and I have thought to look at the pattern of external relations between Algeria and its neighbouring States.

Keywords: Algeria, North African States, Sahel states.

* أستاذ محاضر بكلية العلوم الاجتماعية بجامعة الاغواط - الجزائر، الهاتف: 0794955564 ، البريد الاليكتروني : achourfadilaih@yahoo.com
University of Laghouat – Algeri

تاريخ أول إرسال : 2018/01/17

مقدمة:

تاريخ الجزائر الزمني طويل مرتبط بموقعها الجغرافي، والعصور المتعاقبة عليها-الفينيقيون و الرومان و البيزنطيين و العرب، غزاة و محتلين و حكاما، بالإضافة إلى حركات ضخمة للقبائل الرحل التي تعيش على أطراف الصحراء فكل هؤلاء قد أسهموا في تكوين عناصر السكان، وفي ذلك التاريخ الذي يتمطى في الماضي-مهدا لأشكال من الحضارات القديمة تشكلت عبر كامل التراب الوطني و أحيانا على مناطق معينة منها، وقد أثرت حضارة الجزائر في العالم. وكانت الثّورة الجزائريّة مصدر إلهام و دعم لمعظم حركات التحرّر في إفريقيا، والتاريخ بحوادثه الكثيرة يشهد على هذا فمانديلا مثلا الزعيم الجنوب الافريقي و الأيقونة العالمية الكبيرة نفسه تأثّر بالثّورة الجزائرية و كانت علاقته قويّةً جدًّا بقادتها و رموزها، و وقفت الجزائر كذلك مع مصر في حروبها الثلاثة، كما كانت على علاقة متينة جدا بكل من ليبيا، تونس و المغرب إبّان ثورتها التحريرية، ومنها كانت تنشط و تبث بيانتها عبر إذاعاتها و صحفها، كما كانت الجزائر كذلك على علاقة وثيقة بحركات التحرّر في افريقيا السّوداء و افريقيا جنوب الصّحراء، وفي هذا الإطار فقط يُمكن فهم المدخل التاريخي للعلاقات الجزائريّة الإفريقيّة.

كما يوجد ثمّة معطى آخر و على درجة كبير من الأهميّة يتجاوزه البعض هو "الإشعاع الرّوحي" للجزائر باعتبارها مهدًا للعديد من الطّرق الصّوفية ذات الحضور الكبير في افريقيا، إذ أنّ التنوّع الاثني و الثقافي في الجزائر يُساهم الى حدّ كبير في لعب دور مهم في القارة و المنطقة خاصة مع الطّوارق الذين ينتشرون بشكل كبير في الصحراء الافريقية الكُبرى.

أولا- العلاقة بين الجزائر و الدول المجاورة لها عبر التا ريخ:

1- العلاقات الجزائرية ما قبل التاريخ:

في هذه الحقبة التاريخية لم تكن تعرف الجزائر بهذا الاسم، لأنها كانت جزء لا يتجزأ من شمال افريقيا، رغم أنها كانت تشغل أكبر جزء من الشمال الافريقي، وقد تعاقبت على الشمال الافريقي بعد العصر الحجري، خمس أمم عظيمة: الأمازيغ أو البربر و هم السكان الأصليون، و الفينيقيون، ثم الرومان والوندال ثم البيزنطيون (عبد الرحمان، بن محمد الجيلالي ، 1965، ص42)، لذلك فالشمال الافريقي كان موحدا و يخضع لسلطة واحدة، فلم تكن هناك حدود إدارية و لا سياسية بين المناطق الإفريقية، لهذا فإننا لا نلمس نوع معيّن من العلاقات، لكن مع ظهور الدويلات الإسلامية المستقلة عن الدولة العباسية، حيث ظهرت: الدولة الرستمية في الجزائر(160هـ - 296هـ) ودولة الأدارسة في المغرب الأقصى (172 هـ - 296هـ) ، ودولة الأغالبة في تونس(184هـ - 296هـ)، و دولة بني مدرار في سجلماسة (140هـ - 296هـ) في الحدود الجنوبية الغربية للدولة الرستمية، وقد كانت الدولة الرستمية دولة قوية لها حكمها المستقل تماما عن الدولة العباسية في بغداد، وكان لها علاقات مع جميع أقطار شمال افريقيا ((www.alukah.net

العلاقة بين الدولة الرستمية و دولة الأغالبة: تعتبر دولة الأغالبة الجار الأقوى للدولة الرستمية من الناحية الشرقية، لهذا انتهج الرستميون سياسة التعايش السلمي مع الأغالبة، نظرا للمصلحة المشتركة التي تربطهم (عبد الرزاق، محمد إسماعيل، دون تاريخ، ص ص121- 122).

، وقد عقد أول اتفاق لتقرير مبدأ التعايش السلمي بين الدولتين سنة 197 هـ/813م حين اصطدم **عبد الوهاب بن عبد الرحمان رستم** مع الأغالبة دفاعا عن مواطنيه من **قبيلة هوارة**، حيث اتفق الطرفين على احترام الحدود الجغرافية للدولة الرستمية و نطاقها الرعوي الداخلي في منطقة طرابلس، كما تم الاتفاق على احترام حاجة الأغالبة إلى الشريط الساحلي لطرابلس من أجل الجهاد ضد الروم، و في اطار اتفاقية التعايش السلمي، تحالفت

الدولتين ضد **العباس بن أحمد بن طولون** الذي هدد حدود الدولتين سنة 265هـ/878م (براهيم احمد، العدوي، 1970م، ص211.)

الا أن سياسة التعايش السلمي هذه لم تمنع من تعكر العلاقات بين الدولتين بسبب أطماع الأغالبة و رغبتهم في الإطاحة بالدولة الرستمية لصالح الخلافة العباسية، و ذلك اثر قيام **محمد بن الأغلب** ببناء مدينة عباسية بالقرب من تيهرت، و كانت رد فعل **أفلح بن عبد الوهاب** تدمير المدينة العباسية الجديدة، و التقرب من الخلافة الأموية في الأندلس (احمد بن يحي بن جابر، البلاذري ،1956م، ص65)

، وفي المقابل حاول الأغالبة نشر الفتنة و بث الخلافات الداخلية في قلب الدولة الرستمية عن طريق الجالية المتمتعة بحق اللجوء السياسي من الأغالبة المندسين بين المواطنين الرستميين، وزادت رغبة الأغالبة في القضاء على الدولة الرستمية تقربا من الخلافة العباسية، وذلك في سنة 283هـ عندما اندلعت حرب **نفوسة** بين إبراهيم بن أحمد و قبيلة نفوسة حيث فقدت نفوسة عدد كبير من رجالاتها (ابو عبد الله محمد، ابن عذاري المراكشي، د.ت، ص130).

نظرا لهذه الأوضاع، فإن الأغالبة حرصوا على مقاطعة الرستميين تجاريا وثقافيا، مع بقاء بعض العلاقات الشعبية غير الرسمية، حيث كانت صلات ثقافية بين تيهرت والقيروان، تمثلت في انتقال العلماء من تيهرت إلى القيروان بغية طلب العلم مثل: **بكر بن حماد** الذي أخذ العلم عن **سحنون التنوخي**، و **عون بن يوسف الخزاعي** (عبد الرزاق، محمد إسماعيلد.ت، ص147.)

2- علاقة الدولة الرستمية بدولة الأدارسة:

تعتبر دولة الأدارسة جارة الدولة الرستمية من الحدود الغربية، ودولة الأدارسة علوية من النوع المعتدل فآراؤها تتماشى مع آراء أهل السنة، الأمر الذي زاد من تقربها من الرستميين أصحاب المذهب الإباضية، وقد اتبعت الدولة الرستمية في علاقتها مع دولة الأدارسة سياسة حسن الجوار المتبادل بينهما، و مما دعم سياسة حسن الجوار بينهما هو عدائهما الموحد و المشترك للخلافة العباسية، وقد وجد الأدارسة في الدولة الرستمية الحاجزة و الحارس الأمين لحدودها الشرقية من اعتداء الأغالبة و غيرهم من الموالين للخلافة العباسية.

كما فتحت الدولة الرستمية حدودها للكثير من العلويين الفارين من العباسيين (عبد الرزاق، محمد إسماعيل، د.ت، ص147)

3- العلاقة بين الدولة الرستمية ودولة بني مدرار:

تمثل دولة **بني مدرار** في سجلماسة الحدود الجنوبية الغربية للدولة الرستمية، و هي دولة تأسست على المذهب الصفري الخارجي، مثلهم في ذلك مثل الدولة الرستمية، الأمر الذي قرب بين أهدافهم و زاد من أواصر المحبة و الصداقة بينهم، وسعت كل واحدة منهما كسب احترام الأخرى، لدرجة أن المدراريين عقدوا حلفا ثنائيا مع الرستميين، و تأكد هذا التحالف بزواج **مدرار بن اليسع بن أبي القاسم** حاكم سجلماسة سنة 208هـ/823م من **أروى بنت عبد الرحمان بن رستم** أول أئمة الدولة الرستمية، حيث كان الهدف من هذا الزواج بالنسبة للمدراريين هو كسب حليف قوي يحميها، أما من جهة الدولة الرستمية فالهدف تمثل في كسب عدد أكبر من الصفرية (محمد لسان الدين، ابن الخطيب، العبادي ومحمد إبراهيم الكتلني، 1964، ص ص143)

، من هنا تظهر قوة العلاقة السياسية التي ربطت بين الدولتين و قد مهدت هذه العلاقة لعلاقة ثقافية هي بدورها قوية، حيث أخذ المذهب الإباضي ينتشر بقوة بين المدراريين مواطنين وأئمة وعلماء، و وصلت قوة العلاقة بين الدولتين إلى إقامة الجالية الرستمية في دولة بني مدرار، و إقامة جالية بني مدرار في الدولة الرستمية (السيد عبد العزيز، 1962م، ص486.)

، واعتبرت هذه الأخيرة دولة بني مدرار في سجلماسة منفذا لها لبلاد السودان ومعبرا تنتقل من خلاله قوافلهم التجارية لبلاد غانا و السنغال (عبد الله بن عبد العزيز البكري، بدون تاريخ، ص149) وعلى العموم فإن العلاقات الرستمية المدرارية: السياسية والتجارية والثقافية، كانت في أعلى مستوياتها (محمد علي دبوز، 1963، ص445).

4- علاقة الدولة الرستمية بالسودان:

كانت الدولة الرستمية تسيطر على معظم المنافذ المؤدية للسودان، ولقد امتلك الرستميون عددا من القواعد الصحراوية التي تقع على الطرق و تعتبر محطات للتجارة مع بلاد السودان، مثل: قاعدة ورجلان، وقاعدة غدامس، قاعدة سجلماسة، قاعدة زويلة، وقد ظهرت آثار الاتصال بين التجار الرستميين و أهالي السودان واضحة على سلوكهم وطرق معيشتهم، فقد حمل التجار الرستميين ألوانا حضارية مختلفة، فضلا عن نقلهم لدين الإسلام لهذه الجهات.

إن العلاقات بين الدولة الرستمية و جنوب الصحراء علاقات تجارية و ثقافية ذات طابع سياسي، قائمة على المصلحة المشتركة بين البلدين (عبد الله بن عبد العزيز البكري، ، بدون تاريخ، ص – ص 150- 159).

ثانيا- العلاقات الجزائرية في فترة الحكم العثماني:

لعل أول تقسيم اداري لشمال افريقيا، تم من خلاله فصل الجزائر عن باقي الشمال الافريقي يعود إلى الدولة العثمانية، التي شرعت في تحرير السواحل الجزائرية من الغزو الاسباني في سنة1512م،و قد تم وصل منطقة المغرب الأوسط ـ كما كان يطلق عليها من طرف العرب ـ بالدولة العثمانية التي أطلقت عليها اسم الجزائر و كان ذلك في سنة1518م، و قد عين **خير الدين بربروس** حاكما على الجزائر آنذاك، و بدأ السلطان العثماني **سليم الثالث** في تنظيم أمور الدولة الجديدة(www.onefd.edu.dz)

و قد تميزت الجزائر في فترة الحكم العثماني بوفرة انتاجها الزراعي و رواج تجارتها، حيث قامت تجارة قوية لها مع باقي الأقطار في العصور الوسطى، و كانت كلمتها أكثر تأثيرا في الحرب و السلم، و قد أكسبها هذا الوضع صفة الزعامة على دول المغرب الأخرى، إلى درجة اعترفت لها بذلك الدول الأوربية فأخذت تدفع لها الضرائب و الهدايا (نصر الدين سعيدوني، ، 2008، ص49-50).

1- العلاقات الجزائرية التونسية:

أ/العلاقات السياسية بين الايالتين:

كانت العلاقة بين الجزائر و تونس في هذه الفترة، علاقة سياسية متوترة في مجملها، رغم كونهما إيالتين عثمانيتين متجاورتين، فقد تدخلت الجزائر في فض النزاع بين الأخوين **محمد وعلي** حول الاستحواذ على السلطة أثر وفاة ولدهما **مراد باي** (السايح فيلالي، 1983، ص40).

، ثم تدخلها في حل الصراع بينهما وبين عمهما **محمد الحفصي** حول من يحكم الإيالة التونسية فعرضت عليهم الجزائر تقسيم الايالة مناصفة بينهما وتعين عمهما باشا بالحاضرة و كان ذلك في سنة1677م (محمد مقاديش الصفاقسي، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، مخطوط دار الكتاب الوطنية التونسية، تحت رقم 220، مج 2و47).

إلا أن هذا الصلح لم يدم طويلا حتى اندلعت الحرب بين الأخوين **محمد و علي**، فتدخلت الجزائر لتخمد نار الحرب، بإسناد حكم الايالة التونسية **لمحمد باي** وفقا لإرادة الشعب التونسي و ذلك سنة1686 (أبو عبد الله الشيخ محمد الباجي المسعودي ، 1283هـ، ص –ص 107-108).

ثم نشب خلاف بين محمد الباي و كاهيته «**ابن الشكر**"، و قد انتهى الخلاف بثورة هذا الأخير على سيده **محمد الباي**، ذلك بمساعدة من طرف **الداي شعبان** الذي ساد حكمه الجزائر في الفترة(1688-1695)،و تم تعين **ابن الشكر** على العرش التونسي سنة1694(نفس المرجع، ص109).

و في المقابل قام الباي **مراد الثالث** سنة1700م بحملة على مدينة قسنطينة تعتبر من أخطر الحملات العسكرية بين الايالتين. و قد استمر التوتر السياسي بين الإيالتين إلى غاية الفترة الممتدة(1756-1807)،أين أصبحت تونس خاضعة للحكومة الجزائرية، حيث تميزت العلاقة في هذه الفترة بالاستقرار و السلام بين البلدين (أحمد توفيق المدني، 1974، ص 71).

ب/العلاقات الاقتصادية بين الايالتين:

يمكن أن نلخص العلاقات التجارية بين الجزائر و تونس في تلك الفترة بالتبادلات التجارية البرية و البحرية و قد كانت مثالا في التواصل بين الشعبين عن طريق النشاط التجاري، حيث كانت العلاقات التجارية امتدادا للعلاقات السياسية بين البلدين،و تمثل دور السلطة الجزائرية في جمع الضرائب و فرض الرسوم الجمركية (أرزقي، شويتام، 2011، ص350-351).

ج/ العلاقات الاجتماعية بين الإيالتين:

لقد كان هناك احتكاك إيجابي بين الايالتين، بغض النظر على مدى تأثيره على العلاقات السياسية، و تعتبر المصاهرة و الهجرة أهم عوامل التقارب بين الشعبين، و تعتبر هجرة قبائل بني ميزاب من أقوى الهجرات التي تمت من الجزائر نحو تونس،و هي معظمها هجرات عمالية، أما المصاهرة فغالبا ما كانت تتم بين القبائل المتمركزة على الحدود الجزائرية التونسية (علي، غنابزية، 2011، ص 65).

ج/ العلاقات الثقافية بين الايالتين:

تجسدت العلاقات الثقافية بين البلدين في الرحلات و الهجرات العلمية التي كان يقوم بها حملة العلم و طلابه حيث كانت تونس أحد أهم حواضر العلم في العالم الإسلامي، و قد كان عيسى بن محمد بن عامر الجعفري أول جزائري شد الرحال لتونس طالبا للعلم و ذلك في الفترة (1611-1662)،ثم تلاه أبو العباس أحمد بن قاسم بن محمد الساسي التميمي البوني(1653-1726)،فغالبية الرحلات العلمية كانت تتم من الجزائر نحو تونس نظرا لما اشتهرت به هذه الأخيرة من ازدهار في مجال العلم (أبو قاسم سعد الله ، ، 1989، ص390).

أما الرحلات العلمية التونسية فغالبا ما كانت تتم من طرف العلماء التونسيين الذين كانوا يفدون للجزائر بغية تلقين أهلها العلم و نشر فضائله بين السكان، و من أهم الشخصيات التي وفدت إلى الجزائر من أجل هذا الغرض نذكر **الشيخ سعيد قدورة**، و **محمد الباجي الشافعي**، و **أحمد الأصرم**. (نفس المرجع، ص286).

و لا يمكن أن نغفل الحديث عن دور **الرسائل الاخوانية** التي كان لها دور بارز في التواصل الثقافي بين الشعبين و التي كانت تتم في الغالب لأغراض علمية أو اجتماعية بين الأقارب و القبائل من أصل واح(أبو قاسم سعد الله، 1986، ص 106).

2- العلاقات الجزائرية المغربية في العهد العثماني:

تميّزت العلاقات المغربية الجزائرية في النصف الأول من القرن السابع عشر، بتراكمات و تدخلات مغربية في التراب الجزائري، و محاولات أتراك الجزائر التدخل للوقوف إلى جانب بعض القوى المغربية، و إقامة علاقات مع أندلسي **سلا**، و المجاهد **العياشي** و مقدمي تطوان ثم الدلائيين (محمد الصغير بن حاج الأفراني، 1889، ص75).

تطورت علاقات الجزائر مع المغاربة في عهد العلويين ، حيث قام هؤلاء باعتدائهم على الأراضي الجزائرية و محاولة الاستلاء عليها، وتوسيع سلطتهم على حسابها، من طرف **الشريف المغربي**، الذي تصدّى له الجزائريون وأرغموه على توقيع معاهدة رسم الحدود (محمد بن الطيب القادري، 1978 ، ص134).

التي تعهد فيها الشريف المغربي بعدم التعرض بالسوء للجزائر وشعبها، قائلا:"...إني أعاهد الله تعالى لا أعرض بعد اليوم لبلادكم ولا لرعيتكم بسوء...ولا قطعت واد التافنة إلى ناحيتكم إلا فيما يرضي الله ورسوله"(أحمد بن خالد الناصري، 1955، ص107).

لقد طرأت على العلاقات الفرنسية المغربية، مسألة التعاون بينهما، ضد جيران المغرب خاصة الجزائر، ولكن ذلك لم يثمر نتيجة لرفض المسئولين الكبار في المخزن الإسماعيلي، نتيجة للتواصل الجهادي بين الجزائريين والمغاربة ضد السفن الأجنبية التابعة لدولة معتدية، وذلك في المياه المتوسطية والأطلسية. إلا أن الصدامات المغربية الجزائرية، إلى التدخلات الخارجية ومنها الفرنسية، لتأجيج ذلك الصراع بين الأخوة الأعداء و كانت الجزائر دائما عنصرا هاما في المعادلة المغربية الإسبانية، فلقد عملت المغرب دور الوسيط بين الدولتين في الكثير من الحالات السياسية أو الإنسانية، ولقد كانت العلاقات المغربية الجزائرية في تلك الظروف، تسير في فضاء التعاون بين القوى الشعبية من الجانبين، وحتى بين القوى السياسية رغم التنافر بينهما في كثير من الأحيان، وكثيرا ما كان التعاون بينهما في أمور الأسرى والقرصنة، والتجارة والتعاون ضد الأعداء وخاصة إسبانيا العدو المشترك لهما. (عمر بن قايد، الجزائر، 2012، ص150).

إضافة إلى العلاقات الروحية والدينية والهوياتية، فرغم قربه من أوروبا وتميزه بتمازج الهوية الأمازيغية والأندلسية والعربية، التي يتشارك فيها الشعب الجزائري مع الشعب المغربي، والتي تناقلتها القبائل الجزائرية التي تواجدت في بايلك الغرب، وعرفت تبادل سفراء وممثلي دول وهدايا وهبات وتبادلات اقتصادية، وقد زادت العلاقات الاجتماعية و الثقافية انتعاشا مع انتشار التصوف وتأثير الزوايا على العديد من الدول الإفريقية وازدياد أتباعها و مريديها هناك (www.arabic.cnn.com)

3- لعلاقة بين ايالة الجزائر وايالة طرابلس:

لم يكن للعلاقات الجزائرية الليبية في العهد العثماني، ميزة سياسية، متمثلة في رغبة الجزائر في اخضاع ايالة طرابلس الغرب، لأن الجزائر كانت في أشد انشغالها بإخضاع تونس و المغرب للحكم العثماني بسبب قربهم و التصاقهم بها من الناحية الجغرافية، كما أن إيالة طرابلس الغرب كانت تعيش تحت طائلة من الظروف السياسية مع الباب العالي بحيث مر الحكم العثماني في ايالة طرابلس الغرب بثلاثة مراحل: مرحلة الحكم العثماني (1511- 1711)، و مرحلة حكم الأسرة القرمانلية (1711 -1835) وانتهت هذه المرحلة بعودة الحكم العثماني لطرابلس الغرب، ثم (1911-1912) مرحلة الغزو الإيطالي، و قد تميزت كل هذه المراحل بالفوضى السياسية و الإدارية، إلا أن في النصف الثاني من القرن التاسع عشر شهدت طرابلس الغرب ازدهارا كبيرا في تجارة القوافل التي عرفت بها منذ (www.bou-r.talk4her.com) مجال التبادل التجار مما سمح لها بإنعاش العهد الروماني

، وكانت الجزائر من بين المناطق الافريقية التي دخلت في علاقات تجارية مع ايالة طرابلس الغرب، ومن هذا الباب جاءت العلاقات الثقافية والعلمية بين الايالتين، حيث شهد التاريخ بعض التنقلات العلمية بين الايالتين و نذكر منها

الملك ادريس السنوسي، ذو الأصل الليبي والذي ترعرع في مدينة **مستغانم**، قبل مغادرته إلى الحجاز لاستكمال طلب العلم، ثم عودته إلى طرابلس الغرب. (عفاف أحمد باشا، 2008، ض208-209)

4- العلاقة بين الجزائر ودول الساحل الافريقي (النيجر، المالي، موريتانيا):

في الحقيقة يستبعد أن تكون لإيالة الجزائر علاقات سياسية أو اجتماعية مع دول الساحل الافريقي، وذلك بسبب عدم اختراق الصحراء الافريقية، و الصحراء الجزائرية إلا في مطلع القرن التاسع عشرة، رغم أن العرب

المسلمون كانوا أول من اكتشفها وجال في ربوعها من حجاج و رحالة و كتبوا عنها و وصفوها (يحي بوعزيز، 2001، ص42).

، إلا أن الدول التوسعية مثل الدولة العثمانية، و الدول الأوربية لم يستطيعوا دخولها و التوغل فيها، فمن المعروف على القبائل الصحراوية أنها أشد تعلقا بأوطانها، و أشد دفاعا عنها، كما أن الدولة العثمانية كان لها مداخل لهذه الصحراء من إيالة طرابلس الغرب من خلال تجارة القوافل التي عملت على الربط بين الصحراء وسواحل البحر الأبيض المتوسط التي طالما حرصت الدولة العثمانية على حمايتها.

ثالثا- العلاقات الجزائرية مع دول إفريقيا ابان الاستعمار الفرنسي:

يمكن القول أن العلاقات الجزائرية الافريقية خلال الاستعمار الفرنسي للجزائر كانت في معظمها علاقات عسكرية بالدرجة الأولى، من حيث دعم الدول المجاورة المقاومة الشعبية و الثورة الجزائرية بالأسلحة و العتاد الحربي و حتى المتطوعين لإخراج الاستعمار الفرنسي الغاشم من الجزائر، رغم أن عشية الاحتلال الفرنسي للجزائر(1830)، تعذر دعم الدول المجاورة للمقاومة الشعبية الجزائرية من طرف تونس، طرابلس الغرب، و المغرب الأقصى لأن تهديدات فرنسا باحتلال سواحل تلك البلدان كانت تحول دون ذلك، ومثل ذلك نذكر المحاولات التي قام بها الباب العالي عن طريق إيالة طرابلس الغرب، و ايالة تونس (عبد الجليل التميمي، 1976، ص05).

رغم أن هذه الأخيرة كانت لها أطماع في ضم ايالة الجزائر لتونس، فأيد أحمد باي تونس الاحتلال الفرنسي للجزائر، إلا أن إرادة الباب العالي في تحرير ايالة الجزائر وجهة إدارة أحمد الباي تونس نحو مساعدة الجزائر (صالح فركوس، الجزائر، 2009، ص65)

ورغم أن المغرب الأقصى التزم الصمت حيال الاحتلال الفرنسي للجزائر، إلا أن نواياه كانت واضحة في ضم الجزء الغربي من بايلك الغرب للمملكة المغربية، لو لا تعارض ذلك مع إرادة فرنسا وأطماعها في المنطقة، غير أن في عهد الأمير عبد القادر وبعد مبايعة **السخان** له كان من الضرورة وجود علاقات دبلوماسية مع الدول المجاورة له وكان أول علاقة مع السلطان المغربي وهذا ما شجع وزاد حماس **الأمير عبد القادر** لتنمية العلاقات ولكن بجنوح الجنرال **"ديمشال"** إلى السلم وتوقيع معاهدة التي عرفت باسمه مع **الأمير عبد القادر** يوم 02 فيفري1834 ، أدى إلى فتور العلاقات المغربية الجزائرية بحيث اعترفت فرنسا بدولة الأمير عبد القادر الشيء الذي سوف يمهد لاعتراف دول أجنبية أخرى بها (سليم العايب، 2011،ص42).

كما تعتبر معركة **إيسلي** محطة تاريخية تجسد إيمان المغرب بوحدة المصير المغاربي وهي المعركة التي خاضها المغرب تضامنا مع الجزائر التي كانت آنذاك محط أطماع أجنبية مختلفة، مجسدا بذلك إيمانه القوي والدائم بوحدة المصير المغاربي. وترجع أسباب هذه المعركة التي دارت رحاها سنة 1844 إلى قرار السلطان **مولاي عبد الرحمان** (1822 -1859) منح اللجوء للأمير **عبد القادر الجزائري**، وتزويده بقوات عسكرية بعد ذلك ، إلى جانب مساندة الحرس الملكي (المحلة المغربية) للأمير عبد القادر وهو ما كان يقف حائلا في وجه تنفيذ عمليات الجيش الفرنسي في الجزائر، وجاء في **كتاب الاستقصاء في أخبار المغرب الأقصى لأحمد الناصري السلاوي** وصفا حيا لهذا الحدث من وجهة نظر مغربية. فقد استجاب السلطان مولاي عبد الرحمان لطلب الأمير عبد القادر اللجوء إلى المغرب بعدما هاجمه الفرنسيون ، وهو ما أجج عداء القوى الأوروبية للمغرب.((www.hespress.com)

وتظل معركة **إيسلي** والقصف المكثف الذي تعرضت له مدينة وجدة ، شهادات حية على تضامن المغرب مع جارته الجزائر وعلى تشبثه بالمبادئ النبيلة التي تملها عليه تعاليم الإسلام فضلا عن أخلاقيات حسن الجوار بين بلدين شقيقين ، والتي حافظت عليها الأسرة العلوية الشريفة على الدوام.

1- العلاقات الجزائرية الافريقية ابان الثورة التحريرية:

لقد مثلت الحرب العالمية الثانية نقطة تحول كبيرة بالنسبة للعمل الثوري في شمال افريقيا و المغرب العربي الكبير، فبعد انتهاء الحرب العالمية الثانية توحد العمل الثوري و السياسي في شمال افريقيا على تحرير جميع الأقطار الواقعة تحت وطأة الاستعمار (أحمد مالكي، 1993، ص ص450-455) ، وبعد استقلال دول المغرب العربي : ليبيا(1952)، تونس(1956) و المغرب(1956)، أخذت هذه الدول الثلاث في دعم القضية الجزائرية، من كل النواحي السياسية والعسكرية و المادية. ((www.jazaironline.net

شكلت القارة، القاعدة الخلفية للثورة التحريرية في سياق التضامن الثوري، الذي ساد بين دولها. فقد لعبت الدول الإفريقية، دورا مهما في الضغط الدبلوماسي على فرنسا، لإجبارها على الاعتراف باستقلال الجزائر. وتكريسا لمبدأ التضامن الإفريقي من خلال المشاركة في المؤتمرات الإفريقية التي نذكر منها: مؤتمر آكرا 1958، مؤتمر منروفيا 1959، مؤتمر لاغوس جانفي 1960 ومؤتمر تونس سنة 1961 م ... والتصدي لمشاريع ديغول الامبريالية لاسيما ما تعلق بفصل الصحراء عن الجزائر ((www.army-tech.net

رابعا- **العلاقات الجزائرية بعد الاستقلال:**

منذ السنوات الأولى لاستقلال عملت الجزائر على الحضور القوي في القارة الإفريقية لا سيما دبلوماسيا، وقد عرفت هذه السياسة تحولات من فترة إلى أخرى، ففي فترة الحرب الباردة كان العامل الأيدولوجي هو من حدد العلاقات الجزائرية بدول القارة الإفريقية، وفي منتصف السبعينيات شكلت قضية الصحراء الغربية عاملا جديدا تجندت لها لدبلوماسية الجزائرية في القارة الإفريقية لكسب التأييد لموقفها بشان هذه القضية. ثم دخلت السياسة الخارجية الجزائرية في حالة من الأفول عالميا وبالخصوص في إفريقيا سيما في سنوات التسعينيات، بفعل عوامل عديدة. ثم عاودت البروز من جديد في عهد الرئيس الجزائري عبد العزيز بوتفليقة، تحت ثوب جديد هذه المرة عنوانه الأساسي الأمن.

تجد السياسة الإفريقية للجزائر أساساتها في الجغرافيا والتاريخ. فقد أدرك صناع القرار الجزائريين أهمية الدعم الإفريقي منذ مؤتمر **باندونغ** 1955. أين أيدت الدول الإفريقية المطالب الجزائرية الشرعية. فسنوات الستينيات والسبعينيات؛ -والتي شكلت العصر الذهبي للسياسة الخارجية الجزائرية- تميزت بتكثيف حركتها في القارة الإفريقية على الخصوص. وترجمت هذه التصورات، في النصوص الأساسية للدولة والحزب الجزائريين والتي كان بعضها في غمار الثورة الجزائرية كما أشرنا. فمن خلال تحليل كلا من ميثاق طرابلس، دستور 1963، ودستور 1976؛ يمكن استخلاص عدة أسس حكمت هذه العلاقات لخصها "سليمان الشيخ" في أولا: التضامن السياسي في إطار كفاح الدول الإفريقية من أجل التحرر، ومحاربة التمييز العنصري والامبريالية. ثانيا: المتغير الأيديولوجي والسياسي كان المحدد الأساسي الذي دفع الجزائر على التركيز على إفريقيا، في سياستها الخارجية، ثالثا: وظفت الجزائر دورها الريادي في القارة الإفريقية في كثير من الأحيان مطالب اقتصادية؛ خاصة باستكمال دول العالم الثالث لاستقلالها الاقتصادي واستغلال مواردها بنفسها، وإعادة النظر في النظام الاقتصادي العالمي. والتي لاقت تأييد كل دول العالم الثالث سيما الإفريقية. من هنا تأكد للجزائر الدور الدبلوماسي الإفريقي فقد طبقت قاعدة (دولة- صوت). ((slimane chikh, 1979. PP 3- 5

تجلى النشاط الدبلوماسي الكثيف للجزائر إفريقيا في الكثير من المسائل. فالجزائر كانت من بين الدول الإفريقية القليلة، التي نفذت القرار الوزاري لمنظمة الوحدة الإفريقية الصادر عام 1965. والقاضي بقطع العلاقات مع لندن، في أعقاب إعلان **روديسيا** الاستقلال من طرف واحد. كما كانت الجزائر مسرحا للعديد من لقاءات منظمة الوحدة الإفريقية على مستوى القمة أو على المستوى الوزاري، وكذلك المؤتمرات الإفريقية غير الحكومية، مثل

المهرجان الثقافي الإفريقي في 1969. كما لعبت الجزائر دورا نشيطا في لجنة التحرير بالمنظمة منذ نشأتها، فضلا عن أنها كانت المقر الرئيسي لعدد كبير من حركات التحرير ((Saïd Haddad,2012. Pp2-4

العلاقات المتوترة بين الجزائر والمغرب كان لها حضور كذلك في القارة الإفريقية استغلته الجزائر لصالحها. فبعد تأسيس منظمة الوحدة الإفريقية بأشهر، واجهت النزاع الحدودي بين الجزائر والمملكة المغربية، بسبب توغل القوات المغربية في الأراضي الجزائرية. ومن ثمة أعلنت الجزائر عن رغبتها بأن تتكفل المنظمة، بتسوية النزاع حيث طلب وزير خارجيتها من أمانة المنظمة في 23 أكتوبر 1963، بعد دورة عاجلة لمجلس وزراء المنظمة للبت في موضوع النزاع. واستطاعت المنظمة من خلال وساطة إمبراطور اثيوبيا **"هيلاسي لاسي"** أن تتوصل إلى وقف إطلاق النار، وتكوين لجنة عسكرية لمتابعة انسحاب القوات المغربية. كما شكلت المنظمة لجنة خاصة بباماكو لمتابعة النزاع في 15 يناير 1969. انتهى النزاع بتوقيع اتفاقية "ايفران" بين الرئيس الجزائري بومدين وعاهل المغرب الحسن الثاني. وفي القمة الإفريقية الثامنة في الرباط عام 1972، أعلن الملك المغربي على توصل لبلدين إلى تسوية النزاع الحدودي فيما بينهما.

***قضية الصحراء الغربية وأثرها في السياسة الخارجية الجزائرية في إفريقيا**

سنة 1975 والتي ميزها انفجار قضية الصحراء الغربية؛ شكلت متغيرا جديدا في سياسة الجزائر نحو إفريقيا. فقد انقسمت الأخيرة بين دول مؤيدة للموقف المغربي، وأخرى مساندة لمطلب الشعب الصحراوي (الموقف الجزائري) في الاستقلال. ففي قمة "فريتاون" 1980، أصبحت الجمهورية الصحراوية العربي الديمقراطية، الدولة الواحدة والخمسين في منظمة الوحدة الإفريقية. وهذا ما سبب انسحاب المملكة المغربية من المنظمة عام 1984. فلم تتمكن الرباط من إحداث اختراق إفريقي فما يزال أكثر من ثلاثين بلدا إفريقيا يدعم المطلب الصحراوي وأهمها –ربما- جنوب إفريقيا. (عبد النور بن عنتر، 2005، ص82).

فبالإضافة إلى الدعم المادي الذي كانت تقدمه الجزائر إلى جبهة البوليزاريو فإنها بدأت في حملتها الدبلوماسية لجلب الاعتراف بحكومة الجمهورية العربية الصحراوية، وعزل المغرب عن العمق الإفريقي، مستخدمة في ذلك نفوذها في إفريقيا والعالم الثالث. وكانت نتيجة هذه الجهود، قبول انضمام الجمهورية العربية الصحراوية الديمقراطية رسميا خلال القمة العشرين لمنظمة الوحدة الإفريقية، بأديس أبابا يوم 12 نوفمبر 1984. وهو اليوم الذي انسحبت فيه المغرب من المنظمة احتجاجا على ذلك. هكذا استطاعت دبلوماسية الثورة، أن تلعب أدوارا مؤثرة وحاسمة على الساحة الإفريقية، ليأتي بعدها دور الجزائر المستقلة، كفاعل أساسي على الساحة الإفريقية، ووقوفها وراء حركات التحررية ليؤدي ذلك الموقف إلى التوتر بينها وبين جارتها المملكة المغربية، لتتمكن في الأخير من فرض العزلة عليها إفريقيا (نفس المرجع، ص86).

***اتمة :**

لقد ساعد الموقع الجغرافي للجزائر على احتلالها مكانة سياسية و اقتصادية و ثقافية- اجتماعية، مرموقة في شمال القارة الافريقية، فقد كانت الجزائر ومازالت القلب النابض لإفريقيا، فهي الجارة المسالمة في علاقاتها مع جيرانها، إلا على من اعتدى عليها أو كاد لها المكائد، فلم يشهد التاريخ أن الجزائر بادرت بالعدوان على أحد جاراتها من المناطق الافريقية أو رغبت في التوسع على حسابها، بل بالعكس طالما كانت الجزائر الصدر الحنون على جيرانها الضعفاء المعتدى عليهم من طرف دول أخرى، كما نلاحظ تجانس و تناغم في العلاقات الجزائرية الشمال افريقية بين الأمس و اليوم، و التاريخ يشهد للشعب الجزائري بتعايشه السلمي مع الجاليات الافريقية جميعا، و يشهد أيضا على التبادل الحضاري المتنوع بين الجزائر و جاراتها الافريقية، زخم حضاري، و تنوع ثقافي، يدل على قوة الجزائر التاريخية ولا نقصد هنا تللك القوة الجائرة، بل قوة العدل و الأمن و السلام الجزائري، بلد الصداقة

و التآزر مع الجيران، و كل ذلك استمدته من حكامها العظماء، و جنودها البواسل، الذين تميزوا بحنكتهم السياسية التي لا ليس لها مثيل، و التي مصدرها الذكاء البربري الأمازغي الأصيل.

قائمة المراجع

/1قائمة المراجع باللغة العربية:

***المخطوطات:**

-1مقاديش الصفاقسي، محمد ، **نزهة الأنظار في عجائب التواريخ والأخبار**، مخطوط دار الكتاب الوطنية التونسية، تحت رقم 220، مج 2و47.

***قائمة الكتب :**

-1ابن الخطيب، محمد لسان الدين. (1964). **تاريخ المغرب العربي(العصر الوسيط)**. تحقيق: أحمد مختار العبادي ومحمد إبراهيم الكتلني، الدار لبيضاء.

-2ابن عذاري المراكشي، ابو عبد الله محمد.(د.ت). **البيان المغرب في اخبار الاندلس والمغرب**. تحقيق: ليفي بروفنسال، بيروت، دار الثقافة.

-3أحمد باشا، عفاف. (2008). المؤرخون الليبيون في القرن التاسع عشر . دراسة في الثقافة و المنهج ، بيروت، دار المردار الإسلامي.

-4أحمد، مالكي. (1993).**الحركات الوطنية والاستعمار، في المغرب العربي**. ط1، ، بيروت، مدوع.

-5البلاذري، احمد بن يحيى بن جابر. (1956). **فتوح البلدان**. تحقيق: صلاح الدين المنجد، القاهرة، مطبعة لجنة البيان العربي.

-6بن الطيب القادري، محمد. (1978). **نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني.** 3ج، الدار البيضاء، دار الرشاد الحديثة.

-7بن حاج، الأفراني، محمد الصغير. (1989). **نزهة الحادي بأخبار القرن الحادي**.تحقيق هوداس، باريس، مطبعة أرنست لوروا.

-8بن خالد الناصري، أحمد. (1955). **الاستقصاء لدول المغرب الأقصى**. تحقيق جعفر الناصري، ومحمد الناصري، ج9 ، الدار البيضاء، دار الكتاب.

-9بن عبد العزيز البكري، عبد الله . (ب.ت). **المغرب في ذكر بلاد افريقية و المغرب**. بغداد مكتبة المعنى.

-10بن عنتر، عبد النور.(2005). **البعد المتوسطي للأمن الجزائري . الجزائر أوربا والأطلسي**. الجزائر، المطبعة العصرية،.

-11بن محمد الجيلالي، عبد الرحمان.(1956). **تاريخ الجزائر العام**. الجزء 01، بيروت منشورات دار مكتبة الحياة.

-12بوعزيز، يحي.(2001). **تاريخ افريقيا الغربية الإسلامية من مطلع القرن السادس عشر إلى مطلع القرن العشرين**. الجزائر، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع،.

-13توفيق المدني، أحمد .(1974). **مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار**.الشركة الوطنية ، الجزائر للنشر و التوزيع .

-14سعد الله، أبو قاسم. (1989). **تاريخ الجزائر الثقافي**.ط1، ج2، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

-15سعد الله، أبو قاسم. (1986). **شيخ الإسلام عبد الكريم فكون داعية السلفية**. ط1، لبنان، بيروت، دار الغرب الإسلامي.

-16سعيدوني، نصر الدين . (2008). **الجزائر منطلقات وآفاق . مقاربات للواقع الجزائري من خلال قضايا ومفاهيم تاريخية**. الجزائر، عالم المعرفة.

-17الشيخ محمد الباجي المسعودي، أبو عبد الله .(1283هـ). **الخلاصة النقية في أمراء أفريقية**. تونس مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية.

-18عبد الحميد، سعد زغلول. (1993). **تاريخ المغرب العربي**. الإسكندرية.

-19عبد العزيز، السيد، السال. (د.ت). **تاريخ المغرب في العصر الإسلامي**. بيروت، دار النهضة العربية.

-20العدوي، ابراهيم احمد. (1980). **بلاد الجزائر وتكوينها الاسلامي والعربي**. القاهرة، مكتبة النحو المصرية.

-21غنابزية، علي. (2011). **دراسات في تاريخ المقاومة الثقافية بالجزائر (للحفاظ على الهوية الوطنية)**.ط1، الجزائر، منشورات دار الثقافة.

-22فركوس، صالح .(2009). **الحاج أحمد باي قسنطينة 1826- 1850م**. الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية.

-23محمد إسماعيل، عبد الرزاق. (د.ت). **الأغالبة وسيادتهم الخارجية**، دون مكان، مكتبة سعيد رافد.

-24محمد إسماعيل.(د.ت).عبد الرزاق، **الاغالبة وسياستهم الخارجية**. دون مكان، مكتبة سعيد رافد.

***مجلات علمية:**

-1بن شيخنا، سيدي عمر.(2014) "**المفاوضات المالية-الأزوادية في الجزائر: قراءة في وثائق المفاوضات وسيناريوهات المستقبل**". مركز الجزيرة للدراسات، 29 ديسمبر 2014.

-2بن قايد، عمر.(2012). "**أضواء على علاقات الجزائر مع المغرب الأقصى خلال القرن 11هـ/ 17م**" ،مجلة البحوث للواحات والدراسات، العدد 17، جامعة غرداية، الجزائر، 2012.

-3شويتام، أرزقي.(2011) . **العلاقات الثقافية الجزائرية المغربية(الفترة العثمانية)**، مجلة دراسات تاريخية، جامعة الجزائر2، الجزائر، 2011.

-4التميمي، عبد الجليل.(1976). "**مغامرة الحماية التونسية على وهران سنة 1830**، المجلة التاريخية المغربية، العدد05 ، تونس،1976.

***رسائل علمية:**

-1عشوي، علي.(1997). **سياسة الجزائر في منطقة الساحل الافريقي**، رسالة ماجيستير في العلوم السياسية و العلاقات الدولية، جامعة الجزائر.

-2فيلالي، السايح. (1983). **العلاقات الجزائرية التونسية (1800-1830)**، بحث مقدم لنيل دبلوم الدراسات المعمقة، جامعة قسنطينة، الجزائر.

2/المراجع باللغة الفرنسية:

1-Bourrat, Flavien. « **L'impact de la crise libyenne sur les autres pays du Maghreb** ». **Dans, Reflexions sur la crise libyenne.** Sous la direction de; Pierre razoux. IRSEM, N° 27, 2013.

2-Chenna, Salim. **"Le sahara et le sahel dans la politique algerienne ; territoires menacés, espaces menacants". Recherches internationales**, N° 97, octobre-decembre 2013.

3-Chikh, slimane. « **la politique africaine de lalgerie** ».**Annuaire de l'afrique du nord**, Vol. 17 du CNRS, 1979. PP 3- 5.

4-Haddad, Saïd. "**Entre volontarisme et alignement : quelques réflexions autour de la politique africaine de l'Algérie**". **Dynamique internationales** , No 7, octobre,2012.

5-Mernache, Amina. **« La diplomatie algérienne, la nostalgie d'une gloire perdue.»** **Dynamiques internationales**, N° 7, octobre 2012.

3/مراجع الأنترنت:

1- www.onefd.edu.dz/infpe/cours- الجزائر العثمانية، تصميم درس،

2- http://bou-r.talk4her.com/t17420-topic/ WIliam Wallac ." **الأوضاع العامة في طرابلس في النصف الثاني" من القرن التاسع عشر.**

3- http://www.hespress.com/politique/22786.html/

4- http://www.jazaironline.net/infos/detail/الثورة التحريرية و المغرب العربي

5- http://army-tech.net/forum/index.php?threads2001 منصف بكاي، "**دور الجزائر ودبلوماسيتها في تحرير افريقيا**".

6- https://arabic.cnn.com/world/2016/04/12/morocco-relation-africa